٧ - نماذج من أقوال الإمام الغزالى

وإذا كنا فى الفصول السابقة . . قد وضحنا فلسفة الإمام الغزالى ووجهات نظره فى مختلف فروع المعرفة . . كما تحدثنا عن مسيرة حياته . . فإنه آن الوقت لنقف أمام بعض النصوص الذى كتبها الإمام العظيم . . والذى يرسم فيها بقلمه الأخاذ بعض مشاهد يوم القيامة . . إنه هنا يطلع القارئ على بعض أسرار الغيب . . كما جاءت فى الكتاب والسنة . . ونلاحظ أنه أخذ منهج التخويف والترغيب . .

بمعنى أن يحيط القارئ بمدى جبروت اللَّه ورحمته أيضًا . . وأن على الإنسان أن يتقى الله حتى ينال رضاه ورحمته . . فالعذاب ينتظر الذين لم يتبعوا منهج اللَّه . . والنعيم الذى لا يخطر على بال ينتظر الطائعين العارفين طريق اللَّه . .

صفة نفخة الصور

قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت فى سكرات الموت .. وخطره فى خوف العاقبة .. ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه .. ثم لمنكر ونكير .. وسؤالهما .. ثم لعذاب القبر وخطره إن كان مغضوبًا عليه .. وأعظم من ذلك كله الأخطار التى بين يديه .. من نفخ الصور .. والبعث يوم النشور .. والعرض على الجبار .. والسؤال عن القليل والكثير .. ونصب الميزان لمعرفة المقادير .. ثم جواز الصراط مع دقته وحدته .. ثم انتظار النداء عند فصل القضاء .. إما بالإسعاد وإما بالإشقاء .. فهذه أحوال وأهوال لا بد لك من معرفتها ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق .. ثم تطويل الفكر فى ذلك لينبعث من قلبك دواعى الاستعداد لها..

وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم .. ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم .. ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف .. وبرد الشتاء .. وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها .. مع ما تكتنفه من المصاعب والأهوال .. بل إذا سُئلوا عن يوم الآخر نطقت به ألسنتهم .. ثم غفلت عنه قلوبهم .. ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم .. فقال لصاحبه الذى أخبره صدقت .. ثم مد يده لتناوله .. كان مصدقًا بلسانه .. ومكذبًا بعمله.. وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان..

وقد قال النبى ﷺ : « قال اللَّه تعالى: شتمنى ابن آدم . . وما ينبغى له أن يشتمنى . . وكذبنى . . وما ينبغى له أن يكذبنى . . أما شتمه إياى . . فيقول إن لى ولدًا . . وأما تكذيبه . . فتقوله لن يعيدنى كما بدأنى» . .

وإنما فتور البواطن عن قوة اليقين . . والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم فى هذا العالم لامثال تلك الأمور . . ولو لم يشاهد الإنسان توالد الحيوانات . . وقيل له إن صانعًا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمى المصور . العاقل . . المتكلم . . المتصرف . . لاشتد نفور باطنه عن التصديق به . .

ولذلك قال الله تعالى:

﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾

[يس: ٧٧].

وقال تعالى:

﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [القيامة: ٣٦ - ٣٩].

ففى خلق الآدمى من كثرة عجائبه . . واختلاف تركيب أعضائه . . أعاجيب تزيد على الأعاجيب فى بعثه وإعادته . . فكيف

ينكر ذلك من قدرة اللَّه - تعالى - وحكمة من يشاهد ذلك فى صنعته وقدرته .. فإن كان فى إيمانك ضعف فقو الإيمان بالنظر إلى النشأة الأولى .. فإن الثانية مثلها وأسهل منها .. وإن كنت قوى الإيمان بها فاشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار .. وأكثر فيها التفكير والاعتبار.. لتسلب عن قلبك الراحة والقرار .. فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار .. وتفكر أولاً فيما يقرع سمع سكان القبور .. من شدة نفخ الصور .. فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى .. فيثورون دفعة واحدة .. فتوهم نفسك وقد وثبت متغيراً وجهك .. مغبراً بدنك من فرقك إلى قدميك .. من تراب قبرك .. مبهوتًا من شدة الصعقة .. شاخص العين .. وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور.. التى طال فيها بلاؤهم .. وقد أزعجهم الفزع والرعب مضافًا إلى ما كان عندهم من الهموم .. والغموم .. وشدة الانتظار لعاقبة الأمر ..

كما قال اللَّه تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقال تعالى:

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [المدثر: ٨ - ١٠].

وقال تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٤٨ - ٥٢].

فلو لم يكن بين يدى الموتى إلا هول تلكم النفخة لكان ذلك جديرًا بأن يتقى . . فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من فى السموات والأرض . . يعنى يموتون بها إلا من شاء الله وهو بعض الملائكة . . ولذلك قال رسول الله ﷺ :

«كيف أنتم وصاحب الصور وقد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفخ» . .

قال مقاتل : الصور هو القرن . . وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق . . ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض . . وهو شاخص بصره نحو العرش . . ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى . . فإذا نفخ صعق من فى السموات والأرض . . أى مات كل حيوان من شدة الفزع . . إلا من شاء اللَّه وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت . . ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل . . ثم روح ميكائيل . . ثم روح إسرافيل . . ثم يأمر ملك الموت فيموت . . ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى فى البرزخ أربعين سنة . . ثم يحيى الله إسرافيل . . فيأمره أن ينفخ الثانية . . فذلك قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر: ٦٨] على أرجلهم ينظرون إلى البعث..

وقال ﷺ:

« حين بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلاً وأخَّر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة »..

فتفكر فى الخلائق وذلهم .. وانكسارهم .. واستكانتهم عند الانبعاث خوفًا من هذه الصعقة .. وانتظارًا لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة .. وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم .. متحير كتحيرهم .. بل إن كنت فى الدنيا من المترفين والأغنياء المنعمين .. فملوك الأرض فى ذلك اليوم أذل من أهل الأرض جمعًا .. وأصغرهم وأحقرهم .. يوطئون بالأقدام مثل الذر .. وعند ذلك تقبل الوحوش من البرارى والجبال .. منكسة رؤوسها .. مختلطة بالخلائق بعد توحشها .. ذليلة يوم النشور من غير خطيئة تدنست بها.. ولكن حشرتهم شدة الصعقة .. وهول النفخة .. وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم..

وذلك قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ [التكوير: ٥].

ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها .. وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على اللَّه تعالى.. تصديقًا لقوله تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم: ٦٨]

فتفكر فى حالك .. حال قلبك هناك..

صفة أرض المحشر وأهله

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور .. حفاة .. عراة .. عزلاً .. إلى أرض المحشر .. أرض بيضاء .. قاع صفصف .. لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا .. ولا ترى عليها ربوة يختفى الإنسان وراءها.. ولا وهدة ينخفض عن الأعين فيها .. بل هو صعيد واحد بسيط .. لا تفاوت فيه .. يساقون إليه زمرًا .. فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم .. من أقطار الأرض .. إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة .. والراجفة هى النفخة الأولى .. والرادفة هى النفخة الثانية .. وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة .. ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة..

قال رسول الله ﷺ :

« يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لأحد ».

قال الراوى : والعفرة بياض ليس بالناصع .. والنقى هو النقى عن القشر والنخالة .. ومعلم أى لا بناء يستر .. ولا تفاوت يرد البصر .. ولا تظن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا .. بل لا تساويها إلا فى الاسم ..

قال تعالى:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قال ابن عباس: يزاد فيها وينقص.. وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها .. وتمد مد الأديم العكاظى .. أرض بيضاء مثل الفضة .. لم يسفك عليها دم .. ولم يعمل عليها خطيئة .. والسموات تذهب شمسها .. وقمرها .. ونجومها..

فانظر يا مسكين فى هول ذلك اليوم وشدته .. فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد .. تناثرت من فوقهم نجوم السماء .. وطمس الشمس والقمر .. وأظلمت الأرض لخمود سراجها .. فبينما هم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم .. وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام .. والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها.. فيا هول صوت انشقاقها فى سمعك .. ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها .. وشدتها .. ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة .. فصارت وردة كالدهان .. وصارت السماء كالمهل.. وصارت الجبال كالعهن .. واشتبك الناس كالفراش المبثوث.. وهم حفاة عراة مشاة..

قال رسول الله ﷺ:

« يبعث الناس حفاة عراة غرلاً قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان»..

قالت سودة زوج النبى ﷺ راوية الحديث : قلت: يا رسول الله.. واسوأتاه .. ينظر بعضنا إلى بعض ؟ فقال: «شغل الناس عن ذلك بهم : ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٧] فأعظم يوم تنكشف فيه العورات .. ويؤمن مع ذلك النظر والالتفات.. كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوهم .. فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم ..

قال أبو هريره رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ :

«يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف .. ركبانًا ومشاة وعلى وجوهم» .. فقال رجل يا رسول اللّه ، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال : «الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم »..

فى طبع الآدمى إنكار كل ما لم يأنس به .. ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهى تمشى على بطنها كالبرق الخاطف .. لأنكر تصور المشى على غير رجل .. والمشى بالرجل أيضًا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك .. فإياك أن تنكر شيئًا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما فى الدنيا .. فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا.. ثم عرضت عليك قبل المشاهدة .. لكنت أشد إنكارًا لها .. فأحضر فى قلبك صورتك وأنت واقف عاريًا مكشوفًا .. ذليلاً .. مدحورًا.. متحيرًا .. مبهوتًا .. منتظرًا لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو الشقاوة .. وأعظم هذه الحال فإنها عظيمة..

صفة العرق

ثم تفكر فى ازدحام الخلائق واجتماعهم . . حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع . . من ملك . . وجن . . وإنس . . وشيطان . . ووحش . . وسبع . . وطير . . فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها . . وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها . . ثم أدنيت من رؤوس العالمين كقاب قوسين . . فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب العالمين، ولا يمكن من الاستظلال به إلا المقربون . . فمن مستظل بالعرش . . وبين مضح لحر الشمس . . قد صهرته بحرها . . واشتد كربه وعَمه من وهجها . . ثم تدافعت الخلائق . . ودفع بعضم بعضًا بشدة لشدة الزحام . . واختلاف الأقدام . . وانضاف إليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح . . والاختراء عند العرض على جبار السماء . . فاجتمع وهج الشمس . . وحر الأنفاس . . واحتراق القلوب . . بنار الحياء والخوف . . ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة . . ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله . . فبعضهم بلغ العرق ركبتيه . . وبعضهم حقويه . . وبعضهم إلى شحمة أذنيه . . وبعضهم كاد يغيب فيه . .

قال ابن عمر : قال رسول الله ﷺ :

« يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى تغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه » .

وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ :

« يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين باعًا ويبلغ آذانهم» . (كذا رواه البخارى ومسلم فى الصحيح) . .

وفى حديث آخر : « قيامًا شاخصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب » . .

وقال عقبه بن عامر : قال رسول الله ﷺ :

« تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه . . ومنهم من يبلغ نصف ساقه . . ومنهم من يبلغ ركبته . . ومنهم من يبلغ فخذه . . ومنهم من يبلغ خاصرته . . ومنهم من يبلغ فاه ». وأشار بيده فألجمها فاه «ومنهم من يغطيه العرق» وضرب بيده على رأسه هكذا . .

فتأمل يا مسكين فى عرق أهل المحشر وشدة كربهم . . وفيهم من ينادى فيقول : يا رب أرحنى من هذا الكرب والانتظار . . ولو إلى النار . . وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابًا ولا عقابًا . . فإنك واحد منهم . . ولا تدرى إلى أين يبلغ بك العرق . .

واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم . . وتحمل مشقة فى أمر بمعروف . . ونهى عن منكر . . فيخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة . . ويطول فيه الكرب . . ولو سلم ابن آدم من الجهل

والغرور لعلم أن تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرًا.. وأقصر زمانًا من عرق الكرب والانتظار فى القيامة .. فإنه يوم عظيمة.. شدته .. طويلة مدته..

صفة طول يوم القيامة

يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم .. منتظرة قلوبهم .. لا يكلمون ولا ينظر فى أمورهم.. يقفون ثلثمائة عام لا يأكلون فيه أكلة.. ولا يشربون فيه شربة .. ولا يجدون فيه روح نسيم ..

قال كعب وقتادة :

﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المطففين: ٦].

قال: يقومون مقدار ثلثمائة عام .. بل قال عبدالله بن عمرو: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ثم قال:

«كيف بكم إذا جمعكم ربكم كما تجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم».

وقال الحسن : ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة .. لا يأكلون فيها أكلة .. ولا يشربون فيه شربة.. حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشًا .. واحترقت أجوافهم جوعًا.. انصرف بهم إلى النار .. فسقوا من عين آنية قد آن حرها.. واشتد لفحها .. فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به .. كلم

بعضهم بعضًا فى طلب من يكرم على مولاه ليشفع فى حقهم . . فلم يتعلقوا بنبى إلا دفعهم وقال : دعونى . . نفسى . . نفسى . . شغلنى أمرى عن غيرى . . واعتذر كل واحد بشدة غضب اللَّه - تعالى - وقال قد غضب اليوم ربنا غضبًا لم يغضب قبله مثله . . ولا يغضب بعده مثله . . حتى يشفع نبينا ﷺ لمن يؤذن له فيه . . لا يملكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن . . ورضى له قولاً . .

فتأمل فى طول هذا اليوم . . وشدة الانتظار فيه . . حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصى فى عمرك المختصر . .

واعلم أن من طال انتظاره فى الدنيا للموت . . لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات . . فإنه يقصر انتظاره فى ذلك اليوم خاصة . . قال رسول الله ﷺ لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال:

« والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمنين حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا » . .

فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين . . فما دام يبقى لك نفس من عمرك . . فالأمر إليك . . والاستعداد بيديك . . فاعمل فى أيام قصار لأيام طوال . . تربح ربحًا لا منتهى لسروره . . واستحقر عمرك بل عمر الدنيا . . فإنك لو صبرت لتخلص من يوم مقداره خمسون ألفًا لكان ربحك كثيرًا وتعبك يسيرًا . .

صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه . . المديد زمانه . . القريب أوانه . . يوم ترى السماء فيه قد انفطرت . . والكواكب من هوله قد انتثرت . . والنجوم الزواهر قد انكدرت . . والشمس قد كورت . . والجبال قد سيرت . . والعشار قد عطلت . . والوحوش قد حشرت . . والبحار قد سجرت . . والنفوس إلى الأبدان قد زوجت . . والجحيم قد سعرت . . والجنة قد أزلفت . . والجبال قد نسفت . . والأرض قد مدت . .

يوم ترى الأرض قد زلزلت فيه زلزالها . . وأخرجت الأرض أثقالها . . يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم . .

يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة . . فيومئذ وقعت القيامة وانشقت السماء فهى أذن واهية . . والملك على أرجائها . . ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية . . يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية . .

يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة . . يوم ترج الأرض فيه رجا . . وتبس الجبال بسًا . . فكانت هباء منبثا . .

يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . . وتكون الجبال كالعهن المنفوش . . يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت . . وتضع كل

ذات حمل حملها . . وترى الناس سكارى وما هم بسكارى . . ولكن عذاب الله شديد . .

يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات . . وبرزوا لله الواحد القهار . .

يوم تنسف فيه الجبال نسفًا . . فتترك قاعًا صفصفا . . لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا . .

يوم ترى الجبال تحسبها جامدة . . وهى تمر مر السحاب . .

يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان . . فيومئذ لا يسئل عن ذنبه أنس ولا جان . .

يوم يمنع فيه العاصى من الكلام . . ولا يسئل فيه عن الإجرام . . بل يؤخذ بالنواصى والأقدام . .

يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا . . وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا . .

يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت . . وتشهد ما قدمت وأخرت . .

يوم تخرس فيه الألسن . . وتنطق الجوارح . .

يوم شيب ذكره سيد المرسلين . . إذ قال له الصديق رضى الله عنه: أراك قد شبت يا رسول اللّه !! قال : « شيبتنى هود وأخواتها» . . وهى الواقعة . . والمرسلات . . وعم يتساءلون . . وإذا

الشمس كورت . . فيا أيها القارئ العاجز إنما حظك من قراءتك أن تمجمج القرآن . . وتحرك به اللسان . . ولو كنت متفكرًا فيما تقرؤه لكنت جديرًا بأن تنشق مزارتك مما شاب منه شعر سيد المرسلين . . وإذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن . . فالقيامة أحد ما ذكر فيه . . وقد وصف اللّه بعض دواهيها وأكثر من أساميها . . لتقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها . . فليس المقصود بكثرة الأسامى تكرير الأسامى والألقاب . . بل الغرض تنبيه أولى الألباب . . فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر . . وفى كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على معرفة معانيها . .

ونحن الآن نجمع لك أساميها وهى :

المناقشة يوم القيامة - ويوم الحسرة - ويوم الندامة - ويوم المحاسبة - ويوم المساءلة - ويوم الساعة - ويوم المناقشة - ويوم المنافسة - ويوم الزلزلة - ويوم الدمدمة - ويوم الصاعقة - ويوم الواقعة - ويوم القارعة - ويوم الراجفة - ويوم الرادفة - ويوم الغاشية - ويوم الداهية - ويوم الآزفة - ويوم الحاقة - ويوم الطامة - ويوم الصاخة - ويوم التلاق - ويوم الفراق - ويوم المساق - ويوم القصاص - ويوم التناد - ويوم الحساب - ويوم المآب - ويوم العذاب - ويوم الفرار - ويوم القرار - ويوم اللقاء - ويوم البقاء - ويوم القضاء - ويوم الجزاء- ويوم البكاء - ويوم الحشر - ويوم الوعيد - ويوم العرض - ويوم الوزن - ويوم الحق - ويوم الحكم - ويوم الفصل - ويوم الجمع - ويوم البعث - ويوم الفتح - ويوم الخزى

- ويوم عظيم - ويوم عقيم - ويوم عسير - ويوم الدين - ويوم اليقين - ويوم النشور - ويوم المصير - ويوم النفخة - ويوم الصيحة - ويوم الرجفة- ويوم الرجة - ويوم الزجرة - ويوم الكرة - ويوم الفزع - ويوم الجزع - ويوم المنتهى - ويوم المأوى - ويوم الميقات - ويوم الميعاد - ويوم المرصاد - ويوم القلق - ويوم العرق - ويوم الافتقار - ويوم الانكدار - ويوم الانتشار - ويوم الانشقاق - ويوم الوقوف - ويوم الخروج - ويوم الخلود - ويوم التغابن - ويوم عبوس - ويوم معلوم - ويوم موعود - ويوم مشهود - ويوم لا ريب فيه - ويوم تبلى السرائر - ويوم لا تجزى نفس عن نفس شيئًا - ويوم تشخص فيه الأبصار - ويوم لا يغنى مولى عن مولى شيئًا - ويوم لا تملك نفس لنفس شيئًا - ويوم يدعون إلى نار جهنم دعا - ويوم يسحبون فى النار على وجوهم - ويوم قلب وجوهم فى النار - ويوم لا يجزى والد عن والده - ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه - ويوم لا ينطقون فيه لايؤذن لهم فيعتذرون - ويوم لا مردَّ من اللَّه - ويوم هم بارزون - ويوم على النار يفتنون - ويوم لا ينفع فيه مال ولا بنون - ويوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار - ويوم ترد فيه المعاذير - وتبلى السرائر - ويوم تظهر الضمائر وتنكشف الأستار - يوم تخشع فيه الأبصار - وتسكن الأصوات - ويقل فيه الالتفات - وتبرز الخفيات - وتطهر الخطيئات - ويوم يساق العباد ومعهم الأشهاد - ويشيب الصغير - ويسكر الكبير - فيومئذ وضعت الموازين . . ونشرت الدواوين . . وبرزت الجحيم . . وأغلى

الحميم.. وزفرت النار .. ويئس الكفار .. وسعرت النيران .. وتغيرت الألوان .. وخرس اللسان .. ونطقت جوارح الإنسان ..

فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم .. حيث أغلقت الأبواب.. وأرخيت الستور .. واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور.. فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك .. فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين .. يرسل الله لنا سيد المرسلين .. وينزل عليه الكتاب المبين .. ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين .. ثم يعرفنا غفلتنا .. ويقول ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ**﴾ [الأنبياء: ١ - ٣] .. إلا استمعوه وهم يلعبون ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول:

﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١**﴾ [القمر: ١] ﴿**إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيباً ۝٧**﴾ [المعارج: ٦، ٧] ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً ۝٦٣**﴾ [الأحزاب: ٦٣].

ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملاً .. فلا نتدبر معانيه ولا ننظره فى كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه .. ولا نستعد للتخلص من دواهيه .. فنعوذ بالله من هذه الغفلة إن لم يداركنا الله بوسع رحمته..

صفة المساءلة

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاهًا من غير ترجمان . . فتسأل عن القليل والكثير . . والنقير والقطمير . . فبينما أنت فى كرب القيامة وعرقها . . وشدة عظائمها . . إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام . . وأشخاص ضخام غلاظ شداد . . أمروا أن يأخذوا بنواصى المجرمين إلى موقف العرض على الجبار . . قال رسول اللّه ﷺ :

«إن للّه - عز وجل - ملكًا ما بين شفرى عينيه مسيرة مائة عام» . .

فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض . . وتراهم على عظم إشخاصهم منكسرين لشدة اليوم . . مقشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده . . وعند نزولهم لا يبقى نبى . . ولا صديق . . ولا صالح . . إلا ويخرون لأذقانهم خوفًا من أن يكونوا هم المأخوذين . فهذا حال المقربين . . فما ظنك بالعصاة المجرمين؟!

وعند ذلك يبادر أقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة : أفيكم ربنا ؟ وذلك لعظم موكبهم . . وشدة هيبتهم . . فتفزع الملائكة من سؤالهم إجلالاً لخالقهم عن أن يكون فيهم . . فنادوا بأصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه أهل الأرض . . وقالوا: سبحان ربنا! ما

هو فينا.. ولكنه آت من بعد .. وعند ذلك تقوم الملائكة صفًا محدقين بالخلائق من الجوانب .. وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم .. وعند ذلك يصدق قوله تعالى:

﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٦، ٧].

وقوله :

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢]

فيبدأ - سبحانه - بالأنبياء..

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٩].

فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء .. وتنمحى علومهم من شدة الهيبة .. إذ يقال لهم ماذا أجبتم وقد أرسلتم إلى الخلائق ؟ وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون .. فيقولون من شدة الهيبة: لا علم لنا .. إنك أنت علام الغيوب .. وهم فى ذلك الوقت صادقون .. إذ طارت منهم العقول .. وانمحت العلوم.. إلى أن يقويهم اللَّه تعالى..

فيدعى نوح عليه السلام .. فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول: نعم .. فيقال لأمته : هل بلغكم؟ فيقولون : ما أتانا من نذير..

ويؤتى بعيسى عليه السلام . . فيقول اللَّه - تعالى - له: أأنت قلت اتخذونى وأمى إلهين من دون اللَّه ؟ فيبقى متشحطًا تحت هيبة هذا السؤال سنين . . فيا لعظم يوم تقام فيه السياسة على الأنبياء بمثل هذا السؤال! ثم تقبل الملائكة . . فينادون واحداً واحداً: . . يا فلان يا ابن فلانة . . هلم إلى موقف العرض . . وعند ذلك ترتعد الفرائض وتضرب الجوارح . . وتبهت العقول . . ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار . . ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار . . ولا ينكشف سترهم على ملأ الخلائق . .

وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرض . . وأشرقت الأرض بنور ربها . . وأيقن كل قلب عبد بإقبال الجبار لمساءلة العباد . . وظن كل واحد أنه ما يراه أحد سواه . . وأنه المقصود بالأخذ والسؤال دون من عداه . . فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك : يا جبريل، ائتنى بالنار . . فيجئ لها جبريل ويقول: يا جهنم، أجيبى خالقك ومليكك . . فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها . . فلم يلبث بعد ندائه أن ثارت وفارت . . وزفرت إلى الخلائق وشهقت . . وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها . . وانتهضت خزنتها متوثبة إلى الخلائق غضبًا على من عصى اللَّه - تعالى - وخالف أمره . .

فأخطر ببالك وأحضر فى قلبك حالة قلوب العباد . . وقد امتلأت فزعًا ورعبًا فتساقطوا جثيا على الركب . . ولوا مدبرين . . يوم ترى كل أمة جاثية . . وسقط بعضهم على الوجوه منكبين . . ونادى العصاة والظالمون بالويل والثبور . . وينادى الصديقون: نفسى

نفسى . . فبينما هم كذلك إذ زفرت النار زفرتها الثانية . . فتضاعف خوفهم . . وتخاذلت قواهم . . وظنوا أنهم مأخوذون . . ثم زفرت الثالثة . . فتساقط الخلائق على وجوهم . . وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفى خاشع . . وانهضمت عند ذلك قلوب الظالمين . . فبلغت الحناجر كاظمين . . وذهلت العقول من السعداء والأشقياء أجمعين . . وبعد ذلك أقبل اللَّه - تعالى - على الرسل وقال : ماذا أجبتم؟ فإذا رأوا ما قد أقيم من السياسة على الأنبياء . . اشتد الفزع على العصاة . . ففر الوالد من ولده . . والأخ من أخيه . . والزوج من زوجته . . وبقى كل واحد منتظراً لأمره . .

ثم يؤخذ واحد واحد . . فيسأله اللَّه - تعالى - شفاهًا عن قليل عمله وكثيره . . وعن سره وعلانيته . . وعن جميع جوارحه وأعضائه .

قال أبو هريرة : قالوا يا رسول اللَّه هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال : هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليس دونها سحاب؟ قالوا : لا . . قال : فهل تضارون فى رؤية القمر فى ليلة البدر وليس دونه سحاب؟ قالوا : لا . . قال : فوالذى نفسى بيده لا تضارون فى رؤية ربكم فيلقى العبد فيقول له : ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربح؟ فيقول العبد: بلى . . فيقول : أظننت أنك ملاقى؟ فيقول : لا . . فيقول: فأنا أنساك كما نسيتنى .

فتوهم نفسك أيها المسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدى اللَّه - تعالى - يسألك شفاها . . فيقول لك : ألم أنعم عليك بالشباب ففيم ذا أبليته؟ . . ألم أمهل لك فى العمر . . ففيم ذا أفنيته ؟ ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته . . وفيم ذا أنفقته؟ ألم أكرمك بالعلم . . فماذا عملت فيما علمت؟ فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك . . وأياديه ومساويك ؟ فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك . .

قال أنس رضى الله عنه : كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال:

« أتدرون مما أضحك؟ قلنا اللَّه ورسوله أعلم . . قال: من مخاطبة العبد ربه يقول: يارب ألم تجرنى من الظلم؟ قال: يقول بلى . . قال فيقول : فأنى لا أجيز على نفسى إلا شاهدًا منى . . فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا . . وبالكرام الكاتبين شهودًا . . قال : فيختم على فيه . . ويقال لأركانه: انطقى . . فتنطق بأعماله . . ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه . . بعدًا لكنَّ وسحقًا فعنكن كنت أنا أناضل» . .

فنعوذ باللَّه من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء . . إلا أن اللَّه - تعالى - وعد المؤمن أن يستر عليه . . ولا يطلع عليه غيره . . سأل ابن عمر رجل فقال له : كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى ؟ فقال : قال رسول اللَّه ﷺ : «يدنوا أحدكم من

ربه حتى يضع كتفه عليه فيقول: عملت كذا وكذا .. فيقول: نعم.. فيقول: عملت كذا وكذا .. فيقول: نعم نعم .. ثم يقول: إنى سترتها عليك فى الدنيا وإنى أغفرها لك اليوم» ..

وقال: قال رسول ﷺ :

«من ستر على مؤمن عورته ستر اللّه عورته يوم القيامة» .. فهذا إنما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم .. واحتمل فى حق نفسه تقصيرهم .. ولم يحرك لسانه بذكر مساويهم .. ولم يذكرهم فى غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه .. فهذا جدير بأن يجازى بمثله فى القيامة ..

وهب أنه قد ستره عن غيرك .. أليس قد قرع سمعك النداء إلى العرض .. فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك .. إذ يؤخذ بناصيتك فتقاد .. وفؤادك مضطرب ولبك طائر .. وفرائصك مرتعدة.. وجوارحك مضطربة .. ولونك متغير .. والعالم عليك من شدة الهول مظلم .. فقدر نفسك وأنت بهذا الصفة تتخطى الرقاب.. وتخرق الصفوف .. وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب .. وقد رفع إليك الخلائق أبصارهم، فتوهم نفسك أنك فى أيدى الموكلين بك على هذه الصفة .. حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن.. فرموك من أيديهم .. وناداك اللّه - سبحانه وتعالى - بعظيم كلامه يابن آدم ادن منى .. فدنوت منه بقلب خافق محزون وجل .. وطرف خاشع ذليل .. وفؤاد منكسر .. وأعطيت كتابك

الذى لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . . فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها . . وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشف لك عن مساويها فكم لك من خجل وجبن . . وكم لك من حصر وعجز . . فليت شعرى بأى قدم تقف بين يديه . . وبأى لسان تجيب . . وبأى قلب تعقل ما تقول . .

ثم تفكر فى عظم حيائك إذا ذكرك ذنوبك شفاهًا . . إذ يقول: يا عبدى أما استحييت منى فبارزتنى بالقبيح . . واستحييت من خلقى فأظهرت لهم الجميل . . أكنت أهون عليك من سائر عبادى؟ أستخففت بنظرى إليك فلم تكترث . . واستعظمت النظر غيرى؟! ألم أنعم عليك؟ فماذا غرك بى؟ اظننت أنى لا أراك وأنت لا تلقانى؟

قال رسول اللَّه ﷺ : « ما منكم من أحد إلا ويسأله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان » . .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « ليقفن أحدكم بين يدى اللَّه - عز وجل - ليس بينه وبينه حجاب، فيقول له: ألم أنعم عليك؟ ألم أوتك مالاً؟ فيقول : بلى . . فيقول : ألم أرسل لك رسولاً؟ فيقول: بلى . . ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار . . ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار . . فليتقِ أحدكم النار ولو بشق تمرة . . فإن لم يجد فبكلمة طيبة » . .

وقال ابن مسعود : ما منكم من أحد إلا سيخلو اللَّه - عز وجل - به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر . . ثم يقول: يا ابن

آدم ما غرك بى؟ يا ابن آدم ما عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟ يا ابن آدم ألم أكن رقيبًا على عينك وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك؟ ألم أكن رقيبًا على أذنيك؟ وهكذا حتى عد سائر أعضائه . .

وقال مجاهد : لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدى اللَّه - عز وجل - حتى يسأله عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه . . وعن علمه ما عمل فيه . . وعن جسده فيما أبلاه . . وعن ماله من أين اكتسبه وفيماذا أنفقه . .

فأعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك . . فإنك من بين أن يقال لك سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم . . فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك . . ويغبطك الأولون والآخرون . . وإما أن يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه . . ثم الجحيم صلوه . .

وعند ذلك لو بكت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديرًا بعظم مصيبتك . . وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة اللَّه وعلى ما بعت آخرتك من دنيا دنيئة لم تبق معك . .

صفة الميـزان

ثم لا نغفل عن الفكر فى الميزان . وتطاير الكتب إلى الإيمان والشمائل . . فإن الناس بعد السؤال ثلاث فرق : فرقة ليس لهم حسنة . . فيخرج من النار عنق أسود فيلتقطهم لقط الطير الحب . . وينطوى عليهم ويلقيهم فى النار فتبتلعهم النار . . وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها . . وقسم آخر لا سيئة لهم . . فينادى منادٍ ليقم الحمادون للّه على كل حال . . فيقومون ويسرحون إلى الجنة . . ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل . . ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر اللّه تعالى . . وينادى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها . . ويبقى قسم ثالث . . وهم الأكثرون . . خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا . . وقد يخفى عليهم . . ولا يخفى على اللّه - تعالى - أن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم . . فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات . . وينصب الميزان . . وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع فى اليمين أو فى الشمال . . ثم إلى لسان الميزان أيميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات . . وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق . .

وروى الحسن أن رسول ﷺ كان رأسه فى حجر عائشة - رضى اللّه عنها - فنعش . . فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها . . فنقط على خد رسول اللّه ﷺ . . فانتبه فقال : ما يبكيك ياعائشة؟ قالت

: ذكرت الآخرة . . هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال : والذى نفسى بيده فى ثلاث مواطن فإن أحدًا لا يذكر إلا نفسه إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله، وعند الصراط . .

وعن أنس قال: يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك . . فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا . . وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق : شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا . .

وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار . .

قال رسول اللَّه ﷺ فى يوم القيامة : إنه يوم ينادى اللَّه - تعالى - فيه آدم عليه السلام، فيقول له: قم يا آدم فابعث بعث النار، فيقول: وكم بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون . . فلما سمع الصحابة ذلك أبلسوا . . فلما رأى رسول اللَّه ﷺ عند الصحابة قال :

اعملوا وأبشروا، فوالذى نفس محمد بيده إن معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتاه مع من هلك من بنى آدم وبنى إبليس . . قالوا : وما هما يا رسول اللَّه؟ قال يأجوج ومأجوج، قال فسرى عن

القوم، فقال: اعملوا وأبشروا، فوالذى نفس محمد بيده ما أنتم فى الناس يوم القيامة إلا كالشامة فى جنب البعير أو كالزقمة فى ذراع الدابة..

* * * * *

وبعد :

فهذه صورة سريعة عن حياة الإمام الغزالى . . إنها مجرد إشارة إصبع إلى شخصية ملأت الأسماع . . وتركت من ذخائر الفكر ما لا يقدر بثمن . .

وهذه المحاولة ليست تقييمًا للغزالى . . فالغزالى قد أخذ وضعه . . وأصبح حجة الإسلام بشهادة خصومه قبل أنصاره . . ولكنها دليل أمام كل من يحاول أن يعرف . . ولا بد أن نعرف أعلام الفكر الإسلامى الذين تركوا كل ما هو جدير بالحياة . . فخدموا دينهم . . وخدموا الحياة . .

إنه من الممكن أن يكتب عن الغزالى بحث يستغرق مجلدات . . فقد ترك الرجل تراثًا هائلاً . . وكمًا كبيرًا من الكتب والدراسات والأبحاث . .

والباحث فى كل هذا التراث يمكن أن يسجله فى مجلدات . . ولكن محاولتى - كما قلت - هى مجرد إشارة إلى هذه الشخصية العظيمة والجليلة . . ليأخذ الشباب بعد ذلك فى قراءة تراثهم . . ويرجعوا إلى أعمال الرجل نفسه . . فيما كتب . . وفيما دوّن . .

وسوف يجدون فيها ذخيرة لا تنفذ . .

وسوف يجدون فيها هاديًا يهديهم سواء السبيل . .

وسوف يجدون فيها ما يعيد إليهم التوازن النفسى بينهم وبين أنفسهم . .

إن علينا أن نعيد النظر فى دراسة تراثنا . . ويجب أن نهتم بالتراث الذى ينفع أجيالنا فى دفع عجلة الحياة . . ونهمل من التراث ما يعوق بناء الحياة . . وما أكثر الذين دفعوا عجلة الحياة الفكرية والأدبية والعلمية إلى الأمام . . ومنهم الغزالى . .

ويكفى أن تعرف أن هناك دراسات كثيرة ومتعددة عن الغزالى قام بها علماء من الغرب . . فمن المؤسف إذن أن نتجاهل نحن أعلامنا . . بينما يقوم الغربيون بدراسة تراثنا . . ثم تقديمه لنا . . وربما لأسباب عديدة . . ولدوافع فى نفوسهم . . وربما لمحاولة التشكيك فى قيمنا، كما فعل البعض بالفعل . .

فأولى بعلمائنا أن يقوموا بهذه المهمة . . وأن يعيدوا دراسة تراثنا من جديد على ضوء متطلبات العصر . . حتى نسابق ظلنا ونصل إلى حضارة العصر . .

لقد كنا قادة العالم فى الفكر والأدب والثقافة . . وبالحضارة العربية التى ترجمت إلى أوربا فى عصورها المظلمة نهضت أوربا . . إذن فمن العيب أن نقف فى مؤخرة الدول وكنا فى مقدمة دول العالم تقدمًا وحضارة . .

وإذا كنا قد قدنا العالم فى الماضى نحو مشارف المستقبل . . فنحن قادرون على القيام بهذا الدور الذى قام به أجدادنا . . يوم كانوا قادة الدنيا . . ورسل الحضارة . . فى عالم قد فقد مقومات الحضارة . .

وسوف نحقق بإذن اللَّه هذا الأمل . . وخاصة ونحن نسابق ظلنا اليوم لنصل بالعلم والإيمان إلى غد أكثر أملاً وإشراقًا . . وأكثر سعادة وإنتاجًا . . المهم أن نحلق إلى هذا المستقبل الواعد . . ونحن نطير بجناحين . . جناح العلم . . وجناح الإيمان . . جناح التقدم الصناعى . . وجناح السمو الروحى . . هنا تتوازن الحياة . . وهنا تتوازن النفس الإنسانية . . وهنا تنطلق إلى آفاق لم تكن تخطر على البال . . تبنى حضارة جديدة . . قوامها العلم والإيمان . . وإنا لبالغوها بمشيئة اللَّه . .

المراجـــع

مؤلفات الإمام الغزالى :

١ - إحياء علوم الدين.

٢ - مقاصد الفلاسفة.

٣ - تهافت الفلاسفة.

٤ - المنقذ من الضلال.

- الغزالى..	طه عبدالباقى سرور.
- الغزالى..	أبو الحسن الندوى
- أبوحامد الغزالى المفكر الثائر	محمد الصادق عرجون
- الفكر العربى ومكانته فى التاريخ	تأليف ديلاس أوليرى ترجمة الدكتور / تمام حسين مراجعة دكتور مصطفى حلمى
- تاريخ الفلسفة فى الإسلام	ب . چـ د ى بور - ترجمة محمد عبدالهادى أبو ريدة.
- الغزالى..	تأليف البارون كارادفو - ترجمة عادل زعيتر.

وهذه الدراسات حول الإمام الغزالى:

- الغزالى ومصادره الإغريقية. الدكتور / عبدالرحمن بدوى
- القصيدة التائية للإمام الغزالى. الدكتور / زكى نجيب محمود
- فلسفة السياسة عند الغزالى. للدكتور / محمد عبدالمعز نصر
- الغزالى الفقيه. للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة
- الإمام الغزالى ومعرفة الغيب. الدكتور / عبدالحليم محمود
- الغزالى الفيلسوف. الدكتور / إبراهيم بيومى مدكور